ملامح النسق الفكري الجزائري
بين الأمثال الشعبية والأحكام الشرعية

عبد الحفيظ شريف – جامعة برج بو عريريج

الملخص:

تسعى المداخلة إلى تلمُّس بعض جوانب التَّفكير عند الفرد الجزائري باستعراض جملة من الأمثال الشَّعبيّة التي عهدناها مستوى من مستويات الإبداع، وشكلا من أشكال التَّعبير، فهل لها أنْ تكون انعكاسا لنمط من أنماط التَّفكير؟ وما طبيعة العلاقة بين ما يُمثِّله الجانب الشَّعبيّ من مُكوِّنات الشَّخصية الفردية والجماعية لكلِّ أمَّة، وبين ما يعكسه البُعد الدِّيني ببنائه الفكري، وصياغته اللِّسانية، وتأثيره السُّلوكي؟

الكلمات المفاتيح: النسق الفكري، المثل الشَّعبيّ، الحكم الشرعي.

Abstract:

المنـــارة للاستشارات

This article attempts to show Some thinking sides to an Algerian individual, through popular proverbs as a level of creation and expression. It is a reflection of a way among thinking a ways? What is the relation between the popular side with it personality components to the individual and the group to each society, and between the reflection of a religious aspect, and the thinking and linguistic structures, and its influence on the behaviour?
***Key words**: Systematic thinking, popular proverbs, A religious judgment.*

احتلَّ المثل الشّعبيّ حيِّزا معتبرا من ثقافات الشُّعوب، واتَّخذ شكلا من أشكال الإبداع فيها حتى عدَّه الدَّارسون جنسا أدبيًّا خاصًّا، وأفردوه بالجمع والتبويب، والدِّراسة والتَّحليل، بل إنَّ الاهتمام به تجاوز من لهم به صلة الانتماء من أبناء الأمَّة إلى أن أصبح موضِع اهتمام الدَّارسين من الشُّعوب الأخرى، ولأغراض مختلفة، كمثل ما شهده الإبداع العربي قديمه وحديثه من اهتمام المستشرقين، ولأغراض مختلفة أظهرُها معرفة الآخر من طريق إبداعاته.

ولئن عرف التُّراث العربي مدوَّنة هائلة من الأمثال الفصيحة التي عكست جانبا هامًّا من البيئة العربية القديمة؛ فإنَّ المثل الشَّعبيّ قد حاز لنفسه شطرا لا يُستهان به من الحياة الفكرية والثَّقافية العربية، إذ استغل انحسارَ بيئة الفصاحة، وتقلُّص دائرة الاستعمال الفصيح إلى دوائر محدودة، فأوجد لنفسه طرفا من تعابير النَّاس، ونَقَلَ –بشكل ما– صورة من أشكال تعبيرهم، وعَكَسَ –بصورة ما– بعض تصوُّراتهم حول تفاصيل حياتهم، وأفصح بشكل متفرِّد من أشكال التعبير عن خلفيةٍ لنمط من أنماط التَّفكير "وهكذا عندما ننظر في الآداب الشَّعبيّة التَّقليديَّة؛ نجد أنَّها تتلاقى في قسمات رئيسية، وتمتاز بها عن آداب الفصحيات وتلك هي العراقة، والواقعية، والتَّداخل أو التَّوظيف مع فروع المعارف والمعتقدات والممارسات الجارية في حياة كل يوم"[1] وإذا كان الأدب العربي الفصيح بأجناسه ومواضيعه وأساليب تناوله قد استأثر بكثير من جوانب الحياة العربية؛ فإنَّ كثيرا من الجوانب الأخرى بقيت عصيَّةً عليه، ذلك أنَّ مستوى توظيف اللُّغة يعكس –في ما يعكس– منطلقات المجتمع في بناء أنماط التَّفكير متجلِّيا في أشكال التَّعبير، ومع

---

[1]–أحمد رشدي صالح، الأدب الشَّعبيّ، ط3. القاهرة: دت، مكتبة النهضة المصرية، ص17.

المنارة للاستشارات

الأهمِّية القُصوى التي يشغلها الأدب الفصيح في الحياة العامَّة؛ فإنَّ الأدب الشَّعبيّ لا يُمكن تجاهُل إمكاناته المعرفيَّة، وقيمته الفنِّية ومنطلقاته الفكرية، وإضافاته التَّربوية، ولا يُمكن تجاوز أشكال تعبيره باعتبارها معايير فاعلة في سبر تفاصيل الحياة العامة للناس، وتتبُّع طرائق تفكيرهم في عمقها وبساطتها، ورصد العلاقة الناشئة عن تفاعل التَّفكير على الجانب الشَّعبيّ مع الجوانب الأخرى المُكوِّنة لشخصية الأمَّة.

موقع المثل الشَّعبيّ من صياغة التَّفكير الإنساني: إنَّ التفكير الإنساني لا يسير في اتجاه واحد، ولا تحكمه قاعدة واحدة، ولا يُسلِّم لمرجعية واحدة؛ بل هو ساحة تلتقى على سطحها أنماط من التفكير يسهم كلٌّ منها في بناء نسق تفكيرٍ عام، فالدِّين والأعراف والتَّقاليد وروح العصر (Paradigm[1]) والنوازع الشَّخصية والبيئة المكانية، والاحتكاك مع الآخر بأيِّ شكل، وغير ذلك، تشترك– بأقساط مختلفة– في تشكيل النَّسق الفكريِّ العام.

وتكمُن أهمِّية اختيار المثل الشَّعبيّ كمسبار مهمٍّ من مسابير تصنيف أنماط التَّفكير من بين الأجناس الأدبيَّة الشَّعبيّة المجاورة له كالقصَّة الشَّعبيّة أو الأحجية أو غيرها، في الدَّور الذي يُمكن للمثل أنْ يلعبه في إبراز الجوانب الفرديَّة من التَّفكير، وما يتولَّد عنه من سلوك، أو أحكام على الممارسات، فهو أكثر الأساليب قدرةً على نقل المشاعر والأحكام والتَّصوُّرات الفردية، ومع فرديتها تلك فإنَّه لا يمكن فصلُها عن منظومة التَّفكير الكُلِّية، فالمثل الشَّعبيّ "لا يعالج قضية اجتماعية مرتبطة بظروف مرحليَّة مُعيَّنة مثل القصَّة الشَّعبيّة، وإنَّما يركِّز على السُّلوك الإنساني في ظروفٍ وحالات متغيِّرة، سواء كان السلوك فرديًّا أم جماعيا، وارتباط المثل بالسلوك يعني الاهتمام بالفروق الفرديَّة بين

---

[1]– البراديغم:مفهوم جديد لم يتبلور تعريفه في إطار ثابت وجامع مانع، بل لايزال يصقل ويضاف إليه ويقطع منه حسب الإيديولوجيات والمذاهب الفكرية والسياسية التي تتناوله كل من زاويتها ورؤيتها الخاصة ولكن يعرف بشكل عام ونسبي بأنه: نموذج يشكل البناء التحتي لفكر ما، ويحدد بنيته، ويطرح حوله أسئلة محددة، فضلا عن هذا ينظم معطياته وفق بنى ومحيطات متعددة.http://www/educ-wd.com/

المنارة للاستشارات

الأشخاص والجماعة[1]" وممَّا يؤكد به الأستاذ التلّيهذه الوجهة على صعيد البنية اللُّغوية للأمثال الشَّعبيّة جانبان:

1- ورود المثل على صيغة فردية كقولهم: "**اللِّي جاب لك أدَّى منك**" و(اللِّي هنا بمعنى الذي المفرد) "**اللِّي حبابو فيران، يكثر لمزاود**" "**اللِّي حبُّوا القمر باكمالو، ما يسال على النَّجوم إذا مالو**" "**اللِّي عوَّل على خميرة الجيران، بات بلا عشا**" "**اللِّي ما هو قادر على شغلو، واش ادَّاه يركب بغلُه**" "**سعد الزِّينة في الحما، وسعد الشِّينة في السَّما**" ومعناه: ليس للجميلة حظٌّ في الزَّواج إنَّما هو للقبيحة! وهي تعابير صريحة يَرِدُ عليها المثل كثيرا حتَّى على غير هذه الصيغ.

2- ورود أمثالٍ ذات موضوع واحد بصيغ مختلفة وفي أحيان كثيرة متناقضة، ممَّا يعكس النَّظرة الفردية للمثل، ويصطبغ من خلال ذلك بصبغة أحادية في إطار جماعية انتقائية، تبرِّر التنوُّع الإنساني في رؤية العالم والحكم على أحداثه، بينما يترك لأساليب الإبداع الشَّعبيّة الأخرى ما تعبر عنه بروح جماعية مشتركة، ومثاله: اضطراب ضرب المثل فنجد من الأمثال: "**انوى نية وارقد في ثنية**" ومعناه قدِّم الظَّن الحسن، وانظر إلى النَّاس بعين الاطمئنان، ونجد: "**ما دّير الأمان في بلاد الأمان**" وسبب هذا التَّعارض يرجع إلى الأحكام الفرديَّة للقائلين.

ومن هنا أضحى المثل الشَّعبيّ أكثر الأشكال الشَّعبيّة ارتباطا بسلوك الأفراد، من خلال "تحديده لأسباب الظواهر الاجتماعية التي هي نتيجة للدوافع الذَّاتية القادرة على التَّكيُّف مع المراحل المؤثرة في العلاقات الاجتماعية[2]" ومع ذلك فإنَّه لا ينبغي الاعتماد الكامل عليه في رسم صورة كاملة وقادرة على ضبط معالم النمط التفكيري الكامل للفرد الجزائري، إذ أن كثيرا من الأمثال الشَّعبيّة لا تعدو أن تكون انعكاسا مرتجلا لموقف مفاجئ، أو إبرازا معزولا لصورة شاردة، كما أنه قد يكون تعبيرا لقي من الرضى والقبول ما هيَّأ له مساحة واسعة من الاستعمال والتداول.

---

[1]-التلي بن الشيخ، منطلقات التفكير في الأدب الشَّعبيّ الجزائري، دط. الجزائر: 1990، المؤسسة الوطنية للكتاب، ص157.

[2]-التلي بن الشيخ، منطلقات التفكير في الأدب الشَّعبيّ الجزائري، ص157.

المنارة للاستشارات

نصيب المثل الشَّعبيّ الجزائري من الدَّرس والتَّحليل الاستشراقي: تتناول المداخلة هذه القضية تحديدا باعتبار أنَّ الجهود الاستشراقية الفرنسية في الفترة الأولى للاحتلال رسمت مخطَّطا هندست فيه وضع اللُّغة العربية وآدابها في الجزائر المحتلَّة، فقد شرع المستشرق بريسنيير الذي يشغل كرسي اللُّغة العربية العامِّية في الجزائر، في إلقاء درس الافتتاح يوم:17 جانفي 1937م وجاء عبارةً عن برنامج عملي أعلن فيه عن جزء من استراتيجية الاحتلال الثَّقافية في الجزائر، ومن أهمِّ ما جاء فيه ممَّا يتعلَّق بهدف دراسة الآداب العربية المختلفة أنَّ "**دراسة آدابهم** (الجزائريين) **المختلفة رغم ظهورها بمظهر عديم الفائدة، إلا أنَّ ذلك سيترتَّب عنه نتائج مهمَّة، إذ من خلال ذلك سيتم التّعرُّف على عاداتهم وتقاليدهم، وطريقة تفكيرهم وغيرها**[1]" لقد كان هذا إجراء من عديد الإجراءات التي تستهدف معرفة كلِّ صغيرة وكبيرة حول الأهالي، ولم يكن بريسنيير وحيدا في جهده هذا بل كان الأمر عبارة عن برنامج متكامل أسندت فيه مهام الوقوف المفصَّل على العظيم والجليل من شؤون الأهالي إلى ترسانة من المستشرقين، منهم من كان ممهدا سابقا للاحتلال، ومنهم من رافقه، ومنهم من التحق به طيلة العقود الموالية، ولمَّا كان الكلُّ العلمي والثقافي والاجتماعي والاقتصادي الجزائري مستهدفا من قِبل سلطات الاحتلال العسكرية والسياسية؛ فقد كانت جهود الاستشراق احتلالا موازيا بالدِّراسة المسبقة، وإعداد التقارير المُستشرفة، ولم يكن هناك فرق في نظر هؤلاء المستشرقين بين تحقيق مخطوط، أو إعداد دراسة، أو ترجمة كتاب، ولقد عدَّد هنري ماصييه في بحثه الدِّراسات العربية في الجزائر ومجالات الاستشراق فكانت "أكثر المجالات المطروقة عندهم هي ترجمة النُّصوص الإسلامية، ودراسة العربيَّة والبربرية ولهجاتها، وتاريخ الجزائر والمغرب العربي عموما، والفولكلور، وقد اهتمُّوا بالإسلام كدين وعقيدة وتعاليم، وكتصوُّف ومرابطين وممارسات طقوسية... واتَّصل عندهم التَّاريخ بالأنساب القبلية والجغرافيا السُّكانية[2]"ونتيجة لهذا الاهتمام رعى حركة التأليف المعجمي واللُّغوي في

---

[1]–إبراهيم لونيسي، بحوث في التاريخ الاجتماعي والثقافي للجزائر إبان الاحتلال الفرنسي، دط. الجزائر:2013، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، ص104.

[2]–أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، ط خ. الجزائر: 2001م، عالم المعرفة، ص42.

المنارة للاستشارات

العامّية الجزائرية أمثال جوني فرعون ودي بوسي وبرينييهوماشويل، ولأنَّ الغرض الحقيقي لجهودهم هذه لم يكن لخدمة العربية وعلومها، بل كان البحث فيما تعلَّق بالفصحى من تحقيق وترجمة بغرض الاطلاع الدقيق على الرَّصيد المعرفي للأهالي، لمعرفة نوعية تكوين ما تبقى من علمائهم، أمَّا في ما تقرَّر تسويقه من اللُّغة كوسيلة اتِّصال وأداة تلقين العلوم لهم، فقد كانت اللغة الجزائرية العامية، ومن خلال ذلك نشط الاهتمام بالثقافة الشَّعبيّة ومجالاتها، وهنا حضي المثل الشَّعبيّ–موضوع الدِّراسة– باهتمام ضارَعَ الاهتمام ببقية فروع الثَّقافة والأدب كلِّها، "**ففي سنة 1835م نشر دو لابورت مبادئ الأمثال العربية في الجزائر، ثم قصص لقمان، وكان دو لابورت رئيسا للمكتب العربي ولم مستشرقا، ثم نشر برنييه (الموجز) الذي حدَّد فيه خصائص اللَّهجة الجزائرية العربية وأعطى فيه تفاصيل عن حياة السكان**[1]" والملاحظ هنا هو الاهتمام المبكِّر جدًّا بهذه الأعمال فمع أنَّ وضع الاحتلال –العسكري ظاهرا– يفترض أن يتوجَّه إلى العناية بالجانب العسكري، ولكن انتباه الاحتلال إلى أهمية وخطورة رصد الجانب الثَّقافي والاجتماعي للشعب الجزائري المحتل؛ حدا به إلى التركيز على متابعة قضايا الثقافة والاجتماع مهما دقَّ شأنها، وكان من آثار ذلك أنَّه استطاع أن يكتشف بالتفصيل منطلقات تفكير الجزائريين وأبعاده، ويدرك مصادر القوة ومنافذ الخلل فيها، وذلك من خلال مخطَّط عام استهدف كل ما يتعلق بحياة الجزائري، لتتحرك بعد ذلك آلة الاستشراف، ومخابر التَّوقُّع فترسم استراتيجيات التمكين وآليات التسيير والتوجيه، واستدامة الحضور، ولعلَّ هذا ما جعل من هذا الاحتلال الأخطر والأشرس في الوجود، والأصعب في التخلُّص.

انعكاس نمط تفكير في المثل الشَّعبيّ الجزائري: لا شك أنَّ نظرة موسَّعة على ما جُمع من الأمثال الشَّعبيّة الجزائريَّة سيجعل الباحث أمام صورة كبيرة تنقل واقع الحياة الجزائرية في فترة غير محدَّدة المعالم من تاريخها، وقد تعدَّدت في تفاصيلها، وتنوَّعت في ألوانها، واختلفت في أحكامها ورُؤاها، كما قد يلاحظ أنَّها صورة أسهمت في تشكيلها مصادرُ تراثية أصيلة، واشتركت في صياغة تعابيرها تجارب حياتية طويلة، قد امتزج فيها الأصيل بالدَّخيل، والصَّحيح بالعليل، وتلك حال الشُّعوب في دورات حياتها، وفي

[1]–المرجع نفسه، ص42.

المنارة للاستشارات

منعطفات مساراتها، وما ستعرضه العناصر الآتية يقف بنا على نقاط التَّماس التي تَشِي بها مجموعات الأمثال الشَّعبيّة الجزائرية حين تجمع بين أصالة المصدر وحضور الذات، وبين العرف الشَّعبيّ والثِّقل الدِّيني، وبين لحظات الحكمة والعقل ونزعات الطيش والجهل.

ولا يفوتني هنا أن أشير إلى أني اعتمدت بصورة كبيرة على ثلاث مدونات في الأمثال الشَّعبيّة الجزائرية، وتعذرت الإحالة عليها في كل مرة، إذ تصبح معها الهوامش أكبر من المتن لكثرة الأمثال المستخدمة، ثمَّ إنَّ هذه الأمثال في عمومها قد أصبحت ملكا مشاعا بين الباحثين فلا يمكن نسبتها لباحث معين إلا ما يكون له من الاعتراف بفضل الجمع والتبويب، وهو الأمر الذيتعترف فيه المداخلة لأصحاب هذه المدونات وهي:

قادة بورنان،**الأمثال الشَّعبيّة الجزائرية**،ترجمة: عبد الرحمان حاج صالح، ط1. الجزائر: 2013م، ديوان المطبوعات الجامعية.

عبد المالك مرتاض،**الأمثال الشعبية الجزائرية، تحليل لمجموعة من الأمثال الزراعية والاقتصادية**،دط. الجزائر: 2007م، ديوان المطبوعات الجامعية.

جعكور مسعود،**حكم وأمثال شعبية جزائرية**، دط. الجزائر: 2008م، دار الهدى.

رابح خدوسي،**موسوعة الأمثال الجزائرية**، دط. الجزائر: دت، دار الحضارة.

1- المثل الشَّعبيّ الجزائري بين أصالة المصدر وحضور الذَّات: يَدين المثل الشَّعبيّ الجزائري في كثير من مظاهره إلى سندٍ فكريٍّ ولغويٍّ عربيٍّ أصيل، فنقف على الكثير منها وقد أصبح امتدادا لتعابير سابقة وبمضامين متشابهة، وهو ما يعزِّز مبدأ أصالة المثل الشَّعبيّ الجزائريّ، وولاءه الطَّبيعي للثقافة العربية الإسلامية وعناصر بيئتها، ومنزلة مكوِّناتها، وفلسفة علاقاتها، ومع هذا الوفاء والولاء فإنَّ المثل الشَّعبيّ نفسه قد نَقَل حضور الذَّات الجزائرية بشخصيتها، وصوَّر طبائعها وعاداتها، وأبان عن طريق صياغتها للأحكام والنزعات وإنْ أخطأت مرات وأصابت أخرى، ولكنَّها في الأوَّل والأخير باتت مجالا خصبا للدَّارسين يعتصرون منه مشاهد الحياة الجزائرية وما طرأ عليها، ويكتشفون آليات صياغة تفكير المجتمع ومؤثراتها.

سوف لن يجد الباحث المطَّلع على التُّراث كبير جهد في ملاحظة العلاقة بين الأمثال الشَّعبيّة الجزائرية وبين آية قرآنية كريمة، أو حديث نبويٍّ شريف، أو مثل عربي مشهور

المنارة للاستشارات

أو مغمور، أو قول مجهول أو مأثور، فرُوحُ قوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾[البقرة: 229] –مثلا– ظاهرَة السَّريان في قولهم: "**اقصد بيت الرّجال إذا ما لقيت الهنا تلقى السّْلاكْ**" فالأصل في الحياة الزَّوجيَّة في الثقافة العربيَّة هو السكينة والتَّفاهم، فإنْ تعذَّرت لأسباب معيَّنة؛ فإنَّ دين المسلم ومروءة العربي تُفضيان به إلى طلاق كريم، وكلا الأمرين لا يتحقَّق إلا إذا توافقت مروءة الزَّوج ومروءة صهره التي عبَّر عنها المثل بـ "بيت الرّجال" أي أنَّ الأمر فيها للرجل وليس للذَّكر.

وغير بعيد عن الحياة العائلية التي تصفها الأمثال الشَّعبيّة الجزائرية بأنَّها من أهم المجالات التي احتفظت لأحكام الدين بمقام كريم؛ نجد روح الحديث النبوي سارية بقوة أيضا في نماذج من هذه الأمثال فالحديث النَّبوي الشريف: "تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا ، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ[1]" وبترتيبه لمعايير اختيار الزوجة بات من المعلوم بالضرورة في البيئات الاجتماعية عامة ولدى المباشرين لأمر السَّعي في الزَّواج أو التَّزويج من أيِّ موقع كانوا، وإذا كان حضور النَّص القرآني بعينه متعذِّرا في بعض الأحيان لدى الأوساط الشَّعبيّة البسيطة؛ فقد وظفت على الاستعاضة أو الاستئناس بمألوف كلام النَّاس في مثل تلك الأوضاع، فنجدهم يتداولون المثل: "**الفَايْدَة ماهِي في الزِّين، الفَايْدة في الخلق والدِّين**" والمتتبِّع لمثل هذه المقابلات سيقف على شيء غير قليل من أثر نصوص الوحي الكريم وأحكامه، إنْ على مستوى الصياغة اللُّغويَّة وإنْ على مستوى المضامين والأفكار.

وكما استقى المثل الشَّعبيّ الجزائري من معين الوحي ما تجلَّى، فقد أخذ بحظٍّ من عيون الشِّعر العربي فصيغت في أمثاله: "**السنابل المعمرة راسها مايل**" وهي مقابلة صريحة للبيت:

ملآى السنابل تنحني تواضعا والفارغات رؤوسهن شوامخ

وممَّا لم يتأخَّر أثره –وربما بصورة أوضح– على المثل الشَّعبيّ الجزائري؛ هو تلك الثروة العربية الهائلة من الأمثال الفصيحة، والتي تعد بحقٍّ من مفاخر الإبداع الشَّعبيّ

---

[1] –مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، دط. بيروت، 1334هـ، دار الجيل،ج4، ص175.عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ برقم [3625].

المنارة للاستشارات

العربي وفي مختلف الظروف، فلئن قصَرَت معايير الحركة النَّقدية الشِّعرَ على قوم دون آخرين، وقدَّمت منهم وأخَّرت، ودانت لبعض أعلام النَّثر والبيان وأدانت؛ فقد بقيت الأمثال متمنِّعة على مسالخ النُّقَّاد، قد رضوا منها بما جاءت عليه، ولم يفرِّقوا فيها بين معروف القائل أو مجهوله، ولا بين عارف أو جاهل، فكان يكفي أنْ تسير بالقول الرُّكبان وتتداوله الألسن بعدما استسهلت تلقُّفه الآذان، ولعلَّ النَّاظر في ما بين الأمثال العربية الفصيحة والشَّعبيّة من التَّأثر والتَّأثير سيقف على ما يكاد يكون قناعة تتجلَّى في أنَّ المثل الشَّعبيّ امتداد طبيعي للفصيح في بنيته وروحه ومَضرِبه ومَوْرده، ولكنَّه اختلف عنه في شكل تعبيره، وما ذلك إلا استجابة لمستوى الاستعمال اللُّغوي السَّائد، على أنَّ ما بين الفصيح والعامِّي من القُربى ما قد يستعين فيه الفصيح بالعامِّيِّ ألا ترى كبار النُّثار وقامات السرد لا يتحرَّجُون من التَّوسُّل بمثل شعبيٍّ دارجٍ، أو حكمة محلِّية سائرة، لا يرون غيرها في البيان أبلغ، ولا يأنسون في الفصيح من مثلها ولو كان لهم أطوع.

وللتدليل على ما لاحَظَتْه الدِّراسة من قَرابة بين المثل العربي الفصيح والمثل الشَّعبيّ الجزائري روحا ولغة ومضمونا، تستعرض الشَّواهد التَّالية:

نماذج من المثل الشَّعبيّ الجزائري	نماذج من الأصيل
ترتب روحك تقبض لوعال[1]	تَلَبَّدِي تَصِيدِي[2]
يضرب من بارود الجماعة	جَدَحَ جُوَيْنٌ مِنْ سَوِيقِ غَيْرِهِ[3]
كل واحد يجبد الجمر لخبزته	كَلٌّ يَجُرُّ النَّارَ إِلَى قُرْصِهِ[1]

1–ترتب: إهدأ وتريث. لوعال: العصافير.

2–أبو الفضل أحمد الميداني، مجمع الأمثال، تح: محمد محيى الدين عبد الحميد، ج1، دط. بيروت، دت، دار المعرفة ص127. تَلَبَدِي تَصِيدِي. التَّلَبُّدُ: اللصوق بالأرض لخَتْل الصيد ومعنى المثل: اخْتَلْ تتمكن وتظفر.

3– المصدر نفسه، ج1، ص159.جَدَحَ الرجل السويق: إذا دافه بماء أو لبن أو غيرهما ثم حركه بالمِجْدَح وهي الخُشبية التيبعرض رأسها وجُوَين: اسم رجل. يضرب لمن يتوسَّعُ في مال غيره ويجود به. (فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، أبو عبيد البكري، ص406). والسويق: طعام يتخذ من مطحون الحنطة والشعير، وسمي بذلك لانسياقه في الحلق (المعجم الوسيط المدرسي، مادة س و ق)

المنارة للاستشارات

الهدرة على اختي والمعنى على جارتي   إِيَّاكِ أَعْنِي وَأَسْمَعِي يَا جَارَهْ[2]

فبالمقابلة تتَّضح معالم اتِّفاق الفكرة، وامتداد الشعور، واتفاق التعبير، وسواء كان قائل المثل الشَّعبيّ على دراية بما سلف من القول المشابه، أم لم يكن على علم، فإنَّ مشهد الإبداع إنْ كان على غير علم فهو توافق عجيب في الفكرة والصياغة، وإن كان على علم؛ فالإبداع في النُّزول بالصياغة الفصيحة إلى مستوى الاستخدام الشَّعبيّ، والذي حفظ به الفكرة والمضمون، مع أنَّه أضر من ناحية أخرى بكم هائل من الأمثال العربية التي بقيت حبيسة مدوَّناتها جرَّاء هجرها في الاستعمال، فباتت لغتُها ومعانيها مستعصيَّة حتَّى على كثير من المتعلِّمين.

إنَّ ولاء المثل الشَّعبيّ الجزائري للأصول التُّراثية العربية لا يعني إعادة إنتاج مدوَّنة فصيحة في قالب شعبيٍّ مبتذل، بقدر ما كان إبداعا محلِّيا له كيانُه وفلسفتُه ومعجمُه وموسيقاه، وهو وإن اشترك مع سالفه الفصيح في إبراز المشاهد البدوية الرِّيفية في بساطتها وعفويتها، واتَّفق معه في إظهار مواقف الحياة الاجتماعية والاقتصادية المتداخلة؛ فإنّه تميَّز عنه بوفاء لما هو جزائري بصورة أكثر ظهورا، وهو ما تجلَّى في طريقة استعماله للمعجم الدارج الجزائري، ووصفه لجزئيات البيئة الزِّراعية والاقتصاديَّة، وتصريحه بجوانب من فلسفة علاقاته الاجتماعية، ومن التعابير التي تشي بفلسفة الحياة في تعابير الاقتصاد والمعاش: "**بات بلا لحم تصبح بلا دين**" "**الحرث قدام لعدو ولو على المسوس**" (أي بلا زرع بذور) "**الزلط والتفرعين خير من المال والطحين**" (الزّلط: الفقر، التّفرعين: المقصود بها هنا الأنفة والعزّة، الطّحين: الدياثة وذهاب المروءة) وهي تعابير مشحونة بقوة نفسية تتحدَّى صعاب الحياة البدوية الغالبة على الجزائريين، وتواجهها بقوة اللفظ بعد أن خارت فيها قوة المال أو قوة السلطان، فمظهر الاعتزاز؛ أنْ يحرم الانسان نفسه مشتهيات الأكل والمتع مقابل التخلُّص من ذل الاستدانة، ويفضل الظهور بمظهر

[1]–أبو الفضل أحمد الميداني، مجمع الأمثال ، ج2،ص154، كلُّ يَجُرُّ النَّارَ إِلَى قُرْصِهِ: أي كل يريد الخير إلى نفسه(مجمع الأمثال ج2، ص154)

[2]– مثلٌ لسيَّارٍ بن مَالك الْفَزارِيّ قَالَه في أخت حَارِثَة بن لأم الطَّائِي(أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال،ج1، ص29).

المنارة للاستشارات

الغني المتعفِّف ولو أنْ يُقدِم على حراثة أرضه أمام خصومه من دون بذور، وهو في ذلك على رضى من نفسه بالفقر والعوز على عزة خير من مال وسعة تتبعها ذلة واستكانة.

2- المثل الشَّعبيّ الجزائري بين العرف الشَّعبيّ والثِّقل الديني: سبقت الإشارة إلى وفاء المثل الشَّعبيّ الجزائري للتراث العربي عموما، وتتعرَّض الدِّراسة هنا إلى مقاربة عناصر المشهد الدِّيني في المثل الشَّعبيّ ورصد مستوى الوفاق أو التَّضارب بينه وبين أحكام الشَّريعة في الحياة العامة، ومحاولة الوقوف على أسباب ذلك، وآثاره.

يعكس المثل الشَّعبيّ الجزائري الحضور الديني بقوة في أشكاله ومضامينه، فحضور المعجم الديني في المثل بلغ من القوة والكثرة بحيث صار جديرا بدراسات منفصلة، ولك أنْ تقلِّب طرفك في كلِّ مجموعة من الأمثال الجزائرية لتقف على ألفاظ الإيمان والقرآن والأذان والصّلاة وأوقاتها والصيام والحج والقضاء والقدر والجامع والجنَّة والنَّار والملائكة والجن والشياطين وألفاظ الذِّكر والدعاء وغيرها من الألفاظ التي يشار إليها هنا قصرا لا حصرا.

***عقيدة الجبر**:كثيرا ما تتردَّد في منظومة الأمثال الشَّعبيّة الجزائرية مسألة القضاء والقدر وهي من أخطر قضايا العقيدة التي لفَّ المسلمين بسببها قعود حضاري خطير، ولقد تسرَّب هذا خاصة إلى المستوى الشَّعبيّ البسيط في فترة من التأخُّر العلمي العام، وتفشِّي مظاهر الطُّرقيَّة الضَّالة المظلَّة، وفي ظل تعاليم الشُّيوخ لمريديهم: "اعتقد ولا تنتقد" وما سُطِّر تحتها من بنود القعود المذل، واليأس المحبِط والتَّسليم المهين؛ شاعت بالمقابل مفاهيم تداولها العامَّة في أمثال شعبية تفوح منها رائحة عقيدة الجبر وتُشِيع في النَّاس أنَّ الإنسان لا يستطيع تغيير ما قُدِّر له فردَّدوا أمثالا أفشت اعتقادهم في استحالة التَّغيير، فتولَّد من ذلك ما برَّروا به البطالة والرَّكون إلى الكسل، وتفشَّت فيهم قناعة ضمان الرِّزق من الرزَّاق، وجملة الأمثال التَّالية ترسم لك صورة مجتمعة لحقيقة هذه العقيدة: "**اللِّي مكتوب في الجْبِين ما ينحُّوه اليدِّين**" "**اللِّي حَيْ رزقُه حَيْ**" "**اللِّي خلَقْ ما يْضَيِّع**" "**ربِّي رزَّاق الحُوت في البحر**" "**إذا عكست الأيَّام سَامِيها**" "**الله غالب يا الطَّالب**" "**حشيشة طالبة معيشة**" "**كلّْ عُطلة فيها خير**" "**دير النِّيَّة في الحجر تصيب**" "**تاكلو في القوت ونستنّاَو في الموت**" ولا شك أنَّ استحضار السِّياق التَّاريخي للفترة التي راجت فيها هذه المقولات، وهي فترة الاحتلال الفرنسي، الذي راق له أن تكون هذه الآراء معبرة عن

المنارة للاستشارات

مفاهيم باتت في حكم الأفكار اليقينية عند قطاع كبير من الناس، والصواب أنَّ هذهالعقيدة مردودة عند جمهور أهل السنة إلاَّ من شذَّ منها فسمُّوا **قدريَّة** و**جبريَّة**، لأنّ الإنسان من المنظور القرآني والإسلامي مخيَّر في أفعاله وأقواله، وهو الذي يُنجِز قضاءه بإرادته، وليس (المكتوب)إلاَّواجهة تعكس أفعال الإنسان الاختيارية، فالله إذا قدَّر أنْ يرزق فلانا رزقا؛ جعل لذلك الرزق أسبابا يُنَال بها، فمن ادَّعى أنْ لا حاجة به إلى السَّعي في طلب الرِّزق، وأنَّ ما قُدِّر له من رزق سوف يأتيه بسعي أو بغير سعي؛ لم يفقه قدر الله في عباده[1]" والحقُّ أنَّ هذا المذهب وإنْ كان له وجود مُعتَبَر؛ فإنَّ أمثالا أخرى كثيرة كانت ترفُضُ هذا الواقع وتشجِّع على العمل والسعي والتوكل، فنجد: "**الخو ما ينفع الخو ياويح من خانواذراعوا**" "**الأغنياء يكسبو والرِّعيان يحسبوا**" "**اخدم مطيرة خير من تعطيلة**" المطيرة: (قطعة من الأرض) " "**اللِّي قصد الطَّيحَة ما ركب**" أي أنَّ الذي تذكَّر السُّقوط لنْ يقدر على الفروسية، وهي أمثال تردُّ على كثيرين سوء معتقدهم وقعودهم، بل إنَّ نصوصا كثيرة في القرآن الكريم تردُّ هذا المعتقد وترفض هذا النوع من التَّفكير فترغِّب في السَّعي، وتحثُّ على الحركة، وتُبارك العمل، من قوله تعالى ﴿فَإِذَاقُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[الجمعة:10]﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾[الملك:15] ومن حديث النَّبي –صلى الله عليه وسلم– ما يقطع الجدل العقيم في مسائل القدر مانقله عَنْه عَلِيٌّ رضي الله عنه، قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ، ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسًا وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: مَا مِنْكُمْ مِنْ نَفْسٍ إِلاَّ وَقَدْ عُلِمَ مَنْزِلُهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، فَلِمَ نَعْمَلُ؟ أَفَلاَ نَتَّكِلُ؟ قَالَ: لاَ، **اعْمَلُوا، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**، ثُمَّ قَرَأَ:﴿فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى5 وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى6 فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى7 وَأَمَّامَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى8 وَكَذَّب بِالْحُسْنَى9 فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى 10﴾

* **التَّعلُّق بالحظّ والنَّصيب:** غيرُ بعيد عن مسألة القضاء والقدر، تنتشر أمثال شعبيَّة جزائرية كثيرة تُروِّج لبضاعة الحظِّ والنَّصيب، ويَرِدُ في الأمثال بألفاظ أخرى (البخت) (النَّاصية) (الزَّهَر) ووجد القوم فيه مبرِّرا قويًّا لتبرير العجز والفشل، ومهْرَبا مناسبا لدفع

---

[1] عمر سليمان الأشقر، القضاء والقدر، ط 1. الجزائر: 1410هـ– 1990م، قصر الكتب، ص82.

المنارة للاستشارات

حالة اليأس العام الذي أسهمت فيه الطُّرقيَّة، ومدارس الاستشراق الفرنسيَّة، وتفشِّي الجهل، فبلغ من فساد معتقد هؤلاء حتَّى صاروا على حافة الشِّرك، والجرأة على الذَّات الإلهية في مثل قولهم: "**ربِّي يعطي الفول (اللحم) للِّي ماعنده اسنان**" واللَّفظُ صريح في النِّقمة على الواقع الاجتماعي المرهق، والذي لا يبرر بحال مثل هذه الأحكام التي يرجعونها على الله والحقُّ في عدم فهمهم لسُنَن الله، ومثل هذا يقال عن قولهم: "**الزَّهَر بوهالي، ما تحصي يجي الأول أو التّالي**" "**واحد يحفظ الستِّين و اخر ماعندوش سورة باه يصلي**""**واحد من قصر لقصر ولا خر من قبر لقبر**""**اللِّي ما عندو زهر، في البحر ناشف ريقوا**" وهي أمثال تشترك في التَّعبير عما نفوس النَّاقمين على عدم تساوي الحُظوظ بين النَّاس في الحياة، وتردُّ على هذا النَّوع من التفكير أمثال أخرى من مثل: "**إذا فاتوكم بالكثرة فوتوهم بالبُكرة**" "**اللِّي اتكل على جارتو بات بلا عشاء**" تلك هي بعض المفاهيم العقدية التي أسهمت الأمثال الشَّعبيّة الجزائرية في تصويرها لدى قطاع هام من النَّاس.

* **وضع المرأة الجزائريَّة بين الأمثال الشَّعبيّة والأحكام الدِّينية:** تنقل العديدُ من الأمثال الشَّعبيّة الجزائرية صورةً قاتمة عن المرأة، وتتَّخذ منها موقفا مخالفا لما أقرَّه الإسلام لها من حقوق، وقد كان للتقاليد الاجتماعية البالية التي حلَّت محلَّ أحكام الشَّريعة مع الزَّمن دورٌ في تثبيت العديد من الرُّؤى والأحكام التي خالفت نصوصا من الشَّريعة، أو حرَّفتها، أو تعارضت مع أحكام معلومة منها، ولكي نقف على أكبر عدد من صور ذلك الانتكاس الفكري في هذا الجانب؛ ستُورِد المداخَلَة المثل، وتَذْكُر وجه الموقف فيه مواجها بحكم الشَّريعة:

-**في بعض صفات المرأة:**حمَّل المجتمعُ الجزائريُّ-كغيره من المجتمعات العربية والإسلامية- المرأةَ مسؤوليةً ثقيلة، استجابة لأحكام الإسلام، لكنَّ الفرق بين نظرة الإسلام ونظرة الأعراف التي عكستها الأمثال؛ هو تمكين الإسلام المرأة من وسائل تحمُّلِ المسؤولية كحسن المعاملة، والتَّعليم، والعدل -وليس المساواة- في الشُّؤون المالية والاجتماعية، بينما نظرت إليها الأعراف بما عليها فطالبتها، وحجرت عليها ما لها فجارت، لذلك كان التَّعسُّف في الأحكام كالمثل: "**الخير امراة والشر امراة**" وهو إطلاق مرتجل وحكم شديد، مع أنّه يتضمَّن إقرارا برسالة المرأة ودورها الاجتماعي والتَّربوي.

المنارة للاستشارات

– "**البنات على الامَّات والخيل على الصفات**" وهو يعكس حرصَ المجتمع الشَّديد على سلامة المرأة من العيوب الذَّاتية في الأخلاق، كالغرور: "**ما يغر المرأة غير زينها**"، والمنَّ بالعطية: "**خبز المعفانة ولا خبز المنَّانة**" والأشدُّ من ذلك الحكم عليها بكثرة التَّلوُّن "**الحوت يعوم في الماء، والنسا يعومو بلا ما**" وغياب الوفاء "**ما في الشتاء نهار دافي ولا في النساء عهد وافي**" وحرصوا في الوقت ذاته على صفات ضرورية يجب أن تكون حِلْية للمرأة، كحسن الحديث، وإجادة الصنائع المنزلية في خفة وإتقان "**بعض النسا كَلْمتْهُم ما تتنسى، ومرقتهم ما تتحسى**" "**ادَّات انهارها في نسيف نارها**" وعدم التقصير في القيام بالكثير من أعمال البيت، والتي كان الرجل أولى بها كالسقاية" **أربع نسا والقربة يابسة**" ورفض التَّذرُّع بأيِّ ذريعة يثبت معها كسل المرأة، أو عدم قدرتها على شأن من شؤون البيت "**اللي خانوها يديها تقول بي السُّحور**" كما حبَّذت هذه الأعراف تباعُد الأصهار لتحقيق عنصر التَّفاني في خدمة الزَّوج وأهله وجعلوا ذلك مصدر سعادتها "**الزَّوجة البعيدة أيامها سعيدة**" وثالثة الأثافي أنَّ المرأة في كثير من البيوت هي متنفَّسُ غضب الرجل، ومحلُّ التخلُّص من متاعب الخارج "**قاع النَّاس تغلبني وأنا نغلب خيرة مرتي**" "**الذليل في الرِّجال هو اللِّي يمد الضحك لجارو والهم لدارو**" وهي من الأمثال التي لاشك وأنَّها صيغت على لسان امرأة،فَنَابت عن كثير من مثيلاتها المشتركات معها في نفس الوضع.

ونتيجة لهذا الوضع الاجتماعي المُرهق، نطقت ألسن المقهورات من النساء بأمثال تتجلَّى فيها قناعات القضاء والقدر المغلوطة، فيرجعن بذلك على (الزّهر) و(السَّعد) فقيل: "**زهر الشينة يخدم عليها**" وقيل "**المراة خشبة والسَّعد نجارها**" وقيل: "**عز البنت مع بوها، وإذا غاب عيشها يمرار**" والحقيقة أنَّ من صنع واقع المرأة من خلال هذه المجموعة من الأمثال؛ إنَّما هو فشُوُّ الجهل بأحكام الدِّين الصحيحة، وتردِّي مستوى التَّعليم وفي زمن الاحتلال خاصَّة، ومع الزَّمن أصبحت الأعراف السَّائدة شرائع بديلة فيها مسحة من الشَّرع، وجوهر من الانقلاب عليه.

امتهان الكرامة الإنسانيَّة في منطوق الأمثال الشَّعبيّة: ومع أنَّ لكلِّ مشهدٍ من المشاهد الاجتماعية السَّابقة، صورةٌ مقابلة من هدي الإسلام تصحِّحُه؛ إلاَّ أنَّ أوضح ما تعكسه الأمثال الشَّعبيّة الجزائرية من صور تنظر بها إلى المرأة –وربما باسم الإسلام–؛

المنارة للاستشارات

هو تلك التَّشبيهات التي تُطْلَق على المرأة فتبرِز انتكاس الوضع الفكري الاجتماعي، فقالوا "**اللي عينو في العذاب يكثر النّسا والاصحاب**" والأشدُّ صيغة منه "**اللِّي عينو في الحراب يكثر النّساء والكلاب**" وقريبا منهما: "**بُطْ النّسا بالنّسا، وبُطْ الكلب بالعصا**" والشَّواهد صورة صادمة صريحة في إذلال الكرامة الإنسانية، ناهيك عن إهانة قدسية علاقة الأمومة أو الزوجية أو البنوة، ولعلَّ هذا الحكم قد تسلَّل عبر الفهم الخاطئ للحديث الصحيح عَنْ أَبِي ذَرّ قَالَ: قَال رَسُولُ اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَاكَانَ أَحَدُكُمْ قَائِمًا يُصَلِّي فَإِنَّهُ يَسْتُرُهُ إِذَاكَان بَيْنَ يَدَيْهِ مِثْل آخِرَة الرَّحْلِ فَإِن لَم يَكُنْ بَيْن يَدَيْهِ مِثْلُ آخِرَةِ الرَّحْلِ فَإِنَّهُ يَقْطَعُ صَلَاتَهُ الْمَرْأَةُ وَالْحِمَارُ وَالْكَلْبُ الْأَسْوَدُ قُلْتُ مَا بَالُ الْأَسْوَد مِنْ الْأَصْفَر مِنْ الْأَحْمَرِ فَقَالَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا سَأَلْتَنِي فَقَالَ الْكَلْبُ الْأَسْوَد شَيْطَانٌ[1]»فجمْعُ الحديث بين المرأة والكلب والحمار قد يكون سببا مقنعا لإنزال المرأة تلك المنزلة في كامل شؤونها مع أنَّ الحديث يعالج مسألة فقهية خاصَّة وفي إطار ضيِّق هي مسألة قطع الصلاة، ثمَّ إنَّ هذا الحكم قد صحَّحت فيه الفهمَ عائشة رضي الله عنها، وهي امرأة «عَنْ عَطَاءٍ قَالَ سَمِعْتُ أَنَّهُ يَقْطَعُ الصَّلَاةَ الْكَلْبُ الْأَسْوَدُ وَالْمَرْأَةُ الْحَائِضُ قَالَ عَطَاءٌ حَدَّثَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى وَهِيَ مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ أَلَيْسَ هُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَأَخَوَاتِكُمْ وَعَمَّاتِكُمْ[2]» فنتيجة لقلَّة التَّعليم، أو لسوء الفهم أو التَّفهيم تسرَّبت إلى الحياة العامَّة للجزائريِّين أفكارٌ مصدرها ديني ولكنه مشوب بشوائب هي إلى الجهل والإضرار أقرب من العلم والانتفاع، وقِسْ على ذلك ما بقي من آراء طالما صبغت النَّسق الفكري الجزائري العام بهالة من التَّناقُضات الصَّارخة بين الأعراف الاجتماعية والأحكام الشَّرعيَّة، وقد كان من الممكن أن تكون هذه الشريعة حكما على الأعراف، فتَرَدُّ منها وتَقْبَل، وتُصحِّح منها وتوجِّه، ولكن الأنساق الثَّقافية والاجتماعية والتَّاريخية كان لها دور كبير في تأزيم العلاقة بين أحكام

---

[1] أحمد بن شعيب النسائي، سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشيةالسندي، تح: مكتب تحقيق التراث، ط5.بيروت:1420هـ، دارالمعرفة، ج2، ص396. برقم:749.

[2] أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط2. بيروت:1420هـ ، 1999م، مؤسسة الرسالة، ج42، ص116. برقم: 25207.

المنارة للاستشارات

الشريعة بما فيه من رحمة وعدل وأخلاق، وبين أحكام العرف الاجتماعي بما فيه من ارتجال وجهل وقصور.

– **العلاقة بين الكنَّة والحماة:** من العلاقات التي وجدت لها في الأمثال الشَّعبيّة حيِّزا معتبرا علاقة الزَّوجة وأم زوجها، وقد أحاطت الشَّريعة هذه العلاقة بسياج من التَّعامل بالحسنى والوصية بالمعروف ولكن الأعراف الاجتماعية البالية رأت غير ذلك حينما نظرت إلى استحالة استقرار هذه العلاقة، فقيل: "**كي تتفاهم العجوز والكنَّة يدخل الشَّيطان للجنَّة**"ويبدو أنَّ القضية قد كانت موضع اهتمام وتساؤل حول الأسباب وراء التوتُّر الدَّائم لهذه العلاقة فقيل: "**تكبري يالكنَّة وتعودي حماة، وتحسي كيما حسيت أنا**" وفيه إجابة معقولة تفسِّر الأمر بأنَّ إحساس الأمِّ بأنَّ زوجة ابنها مُختطِفة لجهدها، وفي ضوء تحجُّج الزَّوجة بالمثل "**اللي فاتو ازمانو ما يطمع في زمان النَّاس**" يشتد التَّوتُّر ويسود العداء، وتتخلَّف حكمة الشريعة في النَّسب والمصاهرة من التَّعارف والتآلف.

- **الحثُّ على جملة من الأخلاق السَّيئة:**

– **المداهنة:** "**بوس الكلب من فمو، حتى تقضي حاجتك منو**" وهو خلق ظاهر السُّوء، تمقته الشريعة وتردُّه المروءة.

– **الأنانية:** "**تَخْطِي راسي وتْفُوت**" وهو موقف ممقوت، حين يتنصَّل المرء من مسؤولياته القريبة والبعيدة، وجلاء سوء الفعل ظاهر.

– **قطيعة الرَّحم:** "**بعَّد من دمك لا يشومك**" وهو اعتراض صريحٌ على أوامر الشَّرع الكثيرة في الوصية بالأرحام، والمصابرة في المحافظة عليها.

– **استحلال الحرام:** "**إذا حرمت حلات**" وهو مقابل لـ: "**المرء تواق إلى ما لم ينل**" ولكنَّها ذريعة إلى تجاوز حدود الشَّرع، والتَّحايُل عليه، وتبرير المنكرات.

– **استحلال الكذب:** "**الكذب اللي ينجيك حلال عليك**" وهو تعطيلٌ صريح لعديد النصوص التي تُحرِّم الكذب، وتمقت صاحبه.

– **التَّشنيع على فعل الخيرات بسبب ما قد يكون من أثر:** "**ما تعمل خير ما يجيك شر**" فليس من الدِّين النَّهي عن فعل الخيرات، ولو كان الجزاء من غيره، وتلك سنَّة المرسلين والصالحين يقول الشاعر:

ازرع جميلا ولو في غير موضعه   فلا يضيع جميل أينـما صنعا

المنارة للاستشارات

نماذج من الأخلاق الإسلامية في الأمثال الشَّعبيّة الجزائرية: ومع كل ما قيل في شأن انتشار مثل هذه الأمثال التي كانت تعبيرا عن نمط تفكير مستهتر بآداب الشَّرع وأخلاقه؛ فإنَّ هناك من الأمثال ما يحث على التَّمسك بالشرائع: "**إذا تخلطت الأديان شد في دينك**" على الجملة، ويحبذ الأخلاق الكريمة ومن أمثلة ذلك على التَّفصيل.

- **النَّهي عن الغضب:** "**الزعاف يخرج السِّر**" فمن آثار الاستجابة لنوبات الغضب؛ إفشاء الأسرار وذلك من منكر الآثار.
- **التَّرغيب في محمدة الصمت:** "**الفم المزموم ما يدخلو ذبان**"والمعنى أنَّ من آثار الصَّمت السلامة من عواقب الكلام بغير حكمة.
- **محمدة المشورة:** "**إبليس قال: ما يغلبني غير اللِّي يْشاور**"وفيه تمجيد آثار المشورة وعدم الاستبداد بالرأي.
- **الاعتزاز بالخصوصية وتحصين بالذات:**"**بن عمي بحلاسه خير من البرَّاني بلباسه**""**تصايحت وعرفت أمّاتها**" "**خذ بنت العم ولو بارت، واتبع طريق الأمان ولو دارت، واسكن المدينة ولو جارت**".وفيها دلالة صريح على التمسك بما له علاقة من قربى أو جوار أو انتماء.
- **كلمتك كي بنتك أعرف وين تحطّها**"وفيه توجيه لانتقاء مواضع الكلام، ومعرفة أحوال المتلقين وهي رؤية عميقة ترشد المتكلم إلى انتقاءألفاظه ومواقع إيداعها كما يحرص على أيداع عرضه.

الخاتمة: وقفت المداخلة على شيء من استمداد المثل الشعبي الجزائري في جانبيه الشَّكلي والمضموني، وقد بدا في كليهما متأثرا بنسق لغوي واجتماعي عربي قديم، قد شكلت المدونة التراثية العربية القديم سندا ظاهرا فيه، وهو الأمر الذي جعل من هذا المثل انعكاسا لنمط من التفكير الذي طالما عبَّرت عنه الثقافة العربية القديمة، ومع هذا فقد احتفظ المثل الشعبي الجزائري بخصوصية محلية ذاتية صورت بشكل ما طريقة الجزائري في التفكير، من خلال ما نطق به من تعبير، وسواء كان هذا التعبير مساوقا لأحكام الشرع أم مشوها له؛ فقد أضحى المثل الشعبي نصًّا أدبيًّا وفنِّيًّا وتاريخيًّا، وصفحة أبانت عن جانب كبير من نفسية الجزائري ونمط تفكيره.

المنارة للاستشارات

ولئن كان للعرف الاجتماعي بمحاسنه ومساوئه دور في صياغة المثل الشَّعبي الجزائري؛ فقد أظهرت كثير من الأمثال ضحالة الثقافة الشرعية العامة، وانتشار مفاهيم خاطئة حول كثير من الأحكام الشرعية فصيغت بسبب ذلك أمثال عارضت في مضامينها مسلمات دينية وأخلاقية، وأسهمت في إشاعتها بين الناس بحكم سهولة انتشار المثل ويسر تداوله، في وقت وجد جانب معتبر من الأمثال المتناغمة مع الشريعة له مساحة من الاستعمال، غير أنَّ ضرر انتشار النموذج الأول من الأمثال أبلغ من حضور النموذج الثاني أو غيابه، ومن هنا باتت الدعوة إلى إعادة النظر في طرائق دراسة وتحليل الأمثال الشعبية ضرورية، فلا يجب أن يكتفى فيها بجانبها الفني والأدبي في إطار اختصاص أهل الأدب واللغة؛ بل يجب الانفتاح بدراسة هذا النوع الأدبي دراسة أنثربولوجية، وفي معطيات علم الاجتماع الديني، وعلم الاجتماع اللُّغوي، فإذا تحقَّقت لنا مثل هذا النوع من الدراسات المتكاملة، كانت نتائج البحث أكمل وأجدى.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

1- إبراهيم لونيسي، بحوث في التاريخ الاجتماعي والثقافي للجزائر إبان الاحتلال الفرنسي، دط. الجزائر:2013، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع.

2- أبو الفضل أحمد الميداني، مجمع الأمثال، تح: محمد محيى الدين عبد الحميد، ج1، دط. بيروت، دت، دار المعرفة.

3- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، ط خ. الجزائر: 2001م، عالم المعرفة.

4- أحمد بن حنبل، مسندالإمام أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون،ط2. بيروت: 1420هـ، 1999م،مؤسسةالرسالة،ج42.

5- أحمد بن شعيب النسائي، سنن النسائي بشر حالس يوطي وحاشية السندي، تح: مكتب تحقيق التراث،ط5. بيروت: 1420هـ، دارالمعرفة،ج2.

6- أحمد رشدي صالح، الأدب الشَّعبيّ، ط3. القاهرة: دت، مكتبة النهضة المصرية.

7- التلي بن الشيخ، منطلقات التفكير في الأدب الشَّعبيّ الجزائري، دط. الجزائر: 1990، المؤسسة الوطنية للكتاب.

8- جعكور مسعود، حكم وأمثال شعبية جزائرية، دط. الجزائر: 2008م، دارالهدى.

9- رابح خدوسي، موسوعةالأمثال الجزائرية، دط. الجزائر: دت، دارالحضارة.

المنارة للاستشارات